الدلالات الإيحائية للآيات القرآنية في الخطبة الفدكيّة

Ostensive Signs of the Quranic Ayats in Fadik Sermon

م. د. فردوس هاشم أحمد العلوي

Lectur. Dr. Fardos Hashim Ahamed Al-`Alawi

الدلالات الإيحائية للآيات القرآنية في الخطبة الفدكيّة

Ostensive Signs of the Quranic Ayats in Fadik Sermon

م. د. فردوس هاشم أحمد العلوي
Lectur. Dr. Fardos Hashim Ahamed Al-`Alawi
الجامعة الإسلامية / كلية العلوم الإسلامية / قسم الدراسات القرآنيّة واللغوية
Dept of Linguistic and Quranic Studies /College of Islamic Sciences/ Islamic University

frdwsallwy@gmail. com

تاريخ الاستلام: ٢٧/ ١١/ ٢٠١٩
تاريخ القبول: ١٤/ ٥/ ٢٠٢٠

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

ملخص البحث:

يعد هذا البحث الموسوم بـ (الدلالات الإيحائية للآيات القرآنية في الخطبة الفدكيّة) من الموضوعات المهمة في التاريخ الإسلامي، والعقيدة على حدّ سواء، فالانتماء لدين الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ليس بالقول فقط، بل بالعمل والبحث عن منهجهم وسيرتهم، والاهتداء بهم وكشف مظلوميّتهم، ولا سيما الزهراء عليها السلام)، التي ظُلِمت وغُصب حقّها بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله، وكانت أصداء ذلك الظلم واضحة في خطبتها الموسومة بـ(الخطبة الفدكيّة) التي ألقتها على مسمع الناس ومرآهم، وبحضور كبراء القوم ممّن أوصاهم الرسول صلى الله عليه وآله بها قبل وفاته، فكان جزاؤهم لها بأن ظلموها، وغصبوا حقها، وكسروا ضلعها.

وكان البحث على مقدّمة بيّنت الإطار العام للبحث، وتمهيد بعنوان الدلالة الإيحائية والخطبة الفدكية مدخل تعريفي، تضمّن تعريف الدلالة في اللغة والاصطلاح، وتعريف الإيحاء في اللغة والاصطلاح، والتعريف بخطبة الزهراء عليها السلام وأهم أسانيدها، والدلالات العامة للخطبة.

وكان المبحث الأول بعنوان: الدلالة الإيحائية المباشرة للآيات القرآنية في الخطبة الفدكية، والمبحث الثاني كان بعنوان: الدلالات الإيحائية غير المباشرة للآيات القرآنية في الخطبة الفدكية. الذي تضمّن كلمات من الخطبة دلّت من خلال مضمونها على آيات مكتنزة داخل سياق الخطبة ظهر منها يوحي إيحاءات غير مباشرة، وأعطت نفس الغاية فيما لو كانت ظاهرة.

أضف إلى ذلك قائمة بأهمّ النتائج التي توصّلت إليها الباحثة، وأهمّ المصادر والمراجع التي أعانت الباحثة على إكمال بحثها، ولعلّ أهم ما يميّز البحث أنّه يثير الشجون والأحزان في النفس، ويدعو إلى القراءة الفاحصة لسيرة أهل البيت عليهم السلام، ومعرفة دلالات كلماتهم فهم عدل القرآن ولا يتكلّمون إلّا من وحي القرآن وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

الكلمات المفتاحية: دلالة، إيحاء، خطبة، فدك، مظلومية.

Abstract

The current research, Suggestive Indications of the Quranic Verses in the Fedak Sermon, is an important topic in Islamic history and doctrine . Adhering to the religion of the Messenger , Peace be upon him and his progeny , designates not mere words ; it is a matter of deeds to approach their course , take them as an example and to expose the unjust act they incur , in particular Al-Zahra , peace be upon her, who was oppressed and whose right was usurped after the death of her father . So the unjust acts find existence in her sermon delivered to the people, all the commons and dignitaries the Messenger recommended to take care of her before his death, but she went oppressed , usurped and rib-broken .

There is an introduction to the general viewpoints of the research . The title , Indicative Significance and the Fadek Sermon, comes to throw light on the definition of the indication in language and convention, suggestion in language and convention, the definition of the Zahra sermon and its most important foundations and the general indications of the sermon.

The first chapter is entitled as The Direct Suggestive Significance of Quranic Verses in the Vedic Sermon, the second as Indirect indicative indications of Quranic verses in the sermon. The conclusion manifests the sermon, its content , the verses and the indirect suggestions in the sermon .Moreover the article highlights the most important results that the researcher reaches, and the most important sources and references that the researcher employs to complete the research, and perhaps the most important thing that gives importance to the research is that it arouses sorrows in the soul and calls for a careful reading on the chronicle of

the infallibles , peace be upon them, to fathom the significance of their words to perceive the Quran , as they are the interpreters of it and emulate it in all the walks of their life. Last to pray is to thank Him , the Almighty.

Keywords: indication , suggestion , sermon , Fadek, oppression.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير البريّة أبي الطاهرة الزكيّة، والحوريّة الإنسيّة فاطمة الزهراء عليها السلام وبعد. . . .

فالانتماء لدين الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ليس بالقول فقط، بل بالعمل والبحث عن منهجهم وسيرتهم، والاهتداء بهم وكشف مظلوميّتهم، ولا سيما الزهراء عليها السلام، التي ظُلِمت وغُصب حقّها بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله، وكانت أصداء ذلك الظلم واضحة في خطبتها الموسومة بـ(الخطبة الفدكيّة) التي ألقتها على مسمع الناس ومرآهم، وبحضور كبراء القوم ممّن أوصاهم الرسول صلى الله عليه وآله بها قبل وفاته، فكان لزاماً على الباحث تسليط الضوء على هذا الجانب.

ولعلّ هذا ما جعلني أبحث في هذا الموضوع، (الدلالات الإيحائيّة للآيات القرآنيّة في الخطبة الفدكيّة)، فكان البحث على مقدّمة، وتمهيد بعنوان: الدلالة الإيحائية والخطبة الفدكية مدخل تعريفي، تضمّن تعريف الدلالة في اللغة والاصطلاح، وتعريف الإيحاء في اللغة والاصطلاح، والتعريف بخطبة الزهراء عليها السلام وأهم أسانيدها، والدلالات العامة للخطبة.

وكان المبحث الأول بعنوان: الدلالة الإيحائية المباشرة للآيات القرآنية في الخطبة الفدكية.

والمبحث الثاني كان بعنوان: الدلالة الإيحائية غير المباشرة للآيات القرآنية في الخطبة الفدكية. . والذي تضمّن كلمات من الخطبة دلّت من خلال مضمونها على آيات مكتنزة داخل سياق الخطبة ظهر منها ما يوحي إيحاءات غير مباشرة، وأعطت نفس الغاية فيما لو كانت ظاهرة.

زيادة على ذلك قائمة بأهمّ النتائج التي توصّل لها الباحث، وأهمّ المصادر

والمراجع المعتمدة فيه، ولعلّ أهم ما يميّز البحث أنّه يبيّن أهميّة الدلالات الإيحائية، ويدعو إلى القراءة الفاحصة لسيرة أهل البيت ﷺ، ومعرفة دلالات كلماتهم فهم عدل القرآن ولا يتكلّمون إلّا من وحي القرآن.

التمهيد:

الدلالة الإيحائية والخطبة الفدكية

مدخل تعريفي:

١. التعريف بالدلالة الايحائية في اللغة والاصطلاح.

٢. التعريف بخطبة الزهراء ﷺ وأهم أسانيدها.

١.تعريف الدلالة الايحائية:

الدَّلالة لغة بفتح الدال وكسرها مصدر من الفعل دَلَّ، أي أرشد، والجمعُ دلائلُ ودلالات، وقال ابن دريد: الدَّلالة بالفتح حِرْفة الدَّلاَّل الإيحاء[١].

وقال ابن فارس: الدال واللام أصلان: أحدهما: إبانة الشيء بأمارةٍ تتعلمها، والآخَر: اضطرابٌ في الشيء. فالأوَّل قولهم: دلَلْتُ فلانًا على الطريق. والدليل: الأمارة في الشيء. وهو بيِّن الدَّلالة والدِّلالة. [٢]

وفي الاصطلاحِ:

المعنى المحوري الذي تدور حوله مادة (دلل) هو الإرشاد والإبانة والتسديد بالأمارة أو بأي علامة أخرى لفظية أو غير لفظية[٣].

أما دلالة اللفظ فهي كما قال الأصبهاني: اعلم أن دلالة اللفظ عبارة عن كونه بحيث إذا سُمِع أو تُخُيِّل لاحظت النفس معناه[٤].

أو هي: كون اللفظ بحيث إذا أطلق فَهِم منه المعنى مَنْ كان عالما بوضعه له. [٥]

وقيل: كون الشيء يلزم من فهمه فهم شيء آخر فالشيء الأول: هو الدال، والشيء الثاني: هو المدلول. [٦]

يبدو من خلال ما تقدّم أنّ الدلالة هي الإشارة التي يتوصل من خلالها إلى معرفة المعاني، أو هي الطريق الدالّ إلى المعاني، وهي ذات تأثير لفظي ونفسي في آنٍ واحد، فهي التي تؤثر في اللفظ فتغيّر معناه إلى جانبها، وكذا تؤثر في النفس فتجذبها إليها.

قال تعالى: ﴿ **قَالَ يَاآدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ** ﴾. (٧)

والإيحاء لغةً: يقال وَحَيْتُ إلى فلان أَحي إليه وَحْياً، وأَوْحَيْتُ إليه أُوحِي إيحاءً إذا أَشرت إليه وأَوْمأْتَ، وقيل: وأَما اللغة الفاشية في القرآن فبالأَلف، وأَما في غير القرآن العظيم فوَحَيْتُ إلى فلان مشهورة. (٨)

إذاً فالدلالة الإيحائية: هي الدلالة التي يوحي بها اللفظ بالأصداء والمؤثرات في النفس فيكون له وقع خاص يسيطر على النفس، لا يوحيه لفظ يوازيه لغة، فهو مجال الانفعالات النفسية والتأثر الداخلي للإنسان. (٩)

والحق أنّ عنوان البحث قائم على بيان المعاني والأصداء الناتجة من الإيحاء المباشر وغير المباشر، الذي يؤثر في النفس وفي الغير، ويخترق العقل والقلب والوجدان ويؤثر فيهم.

التعريف بخطبة الزهراء عليها السلام.

روى المؤرخون أنّ السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام قد خطبت خطبة جليلة، بعد وفاة أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد امتازت خطبتها عليها السلام بأعلى درجات البلاغة والفصاحة والحجة الدامغة والبراهين الساطعة، والقدرة على الاحتجاج بوجه الخصم بالأدلّة والبراهين على مرأى النّاس ومسمعهم، ولا يخفى ما تضمّنته الخطبة من إيحاءات احتجاجيّة ونفسيّة قويّة وضّحت أنها غُصب حقّها، وظُلمت بعد وفاة أبيها سيد البشريّة.

وقد تميّزت هذه الخطبة بأسانيدها الكثيرة(١٠)، ورواها مئات المؤرخين وبطرق صحيحة ومعتبرة تثبت صحّة وجودها، وصدق مضمونها، وفيما يلي نصّ الخطبة:

روى المؤرّخون والمحدِّثون انّه لمّا أجمع أبو بكر وعمر على منع فاطمة بنت رسول الله ﷺ فدكاً وبلغ فاطمة عليها السلام لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها.

الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدّم، من عموم نعم ابتداها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن أولاها، جمّ عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمدها، وتفاوت عن الإدراك أبدها، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتّصالها، واستحمد إلى الخلائق بإجزالها، وثنى بالندب إلى أمثالها، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمّن القلوب موصولها، وأنار في التفكّر معقولها، الممتنع من الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام كيفيته، ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة (١٢) امتثلها، كوّنها بقدرته، وذرأها بمشيّته، من غير حاجة منه إلى تكوينها، ولا فائدة له في تصويرها، إلّا تثبيتاً لحكمته، وتنبيهاً على طاعته، وإظهاراً لقدرته، وتعبّداً لبريّته وإعزازاً لدعوته، ثمّ جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، ذيادة لعباده عن نقمته، وحياشته لهم إلى جنّته.

وأشهد أنّ أبي محمّداً [النبيّ الأُمّي] ـ ﷺ عبده ورسوله اختاره وانتجبه قبل أن أرسله، وسمّاه قبل أن اجتباه، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونة، وبستر الأهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرون، علماً من الله تعالى بمآيل الأُمور، وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بمواقع المقدور، ابتعثه الله إتماماً لأمره، وعزيمة على إمضاء حكمه، وإنفاذاً لمقادير حتمه، فرأى الأُمم فرقاً في أديانهم، عُكَّفاً على نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها، فأنار الله بأبي، محمّد ﷺ ظُلَمَها، وكشف عن القلوب بهمها، وجلا عن الأبصار غممها، وقام في الناس بالهداية، فأنقذهم من الغواية، وبصّرهم من العماية، وهداهم إلى الدّين القويم، ودعاهم إلى

الصّراط المستقيم. ثمّ قبضه الله إليه قبض رأفة واختيار، ورغبة وإيثار، فمحمّد ـ ﷺ من تعب هذه الدار في راحة، قد حُفّ بالملائكة الأبرار، ورضوان الربّ الغفّار، ومجاورة الملك الجبّار، صلّى الله على أبي، نبيّه وأمينه على الوحي، وصفيّه [في الذّكر] وخيرته من الخلق ورضيّه، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

ثمّ التفتت ﷺ إلى أهل المجلس وقالت: أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه، وحملة دينه ووحيه، وأُمناء الله على أنفسكم، وبلغاؤه إلى الأُمم، وزعمتم حقّ لكم، لله فيكم عهد، قدّمه إليكم، وبقيّة استخلفها عليكم: كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللّامع، بيّنة بصائره، منكشفة سرائره، منجلية ظواهره، مغتبط به أشياعه، قائد إلى الرضوان أتباعه، مؤدّ إلى النجاة استماعه، به تنال حجج الله المنوّرة، وعزائمه المفسّرة، ومحارمه المحذرة، وبيّناته الجالية، وبراهينه الكافية، وفضائله المندوبة، و رخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة.

فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، والزكاة تزكية للنفس ونماءً في الرزق، والصيام تثبيتاً للإخلاص، والحجّ تشييداً للدين، والعدل تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملّة، وإمامتنا أماناً من الفرقة، والجهاد عزّاً للإسلام [وذلاً لأهل الكفر والنفاق]، والصبر معونة على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحة للعامة، وبرّ الوالدين وقاية من السخط، وصلة الأرحام منسأة في العمر، ومنماة للعدد، والقصاص حقناً للدماء، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة، وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، واجتناب القذف حجاباً عن اللّعنة، وترك السرقة إيجاباً للعفّة، وحرّم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبيّة، فاتّقوا الله حقّ تقاته، ولا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون، وأطيعوا الله فيما أمركم به و [ما] نهاكم عنه، فإنّه إنّما يخشى الله من عباده العلماء.

ثمّ قالت: أيّها الناس اعلموا: إنّي فاطمة وأبي محمّدﷺ، أقول عَوداً وبدواً ولا أقول ما أقول غلطاً، ولا أفعل ما أفعل شططاً، ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾. فإن تعزوه وتعرفوه، تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمّي دون رجالكم، ولنعم المعزى إليهﷺ، فبلّغ الرسالة صادعاً بالنذارة، مائلاً عن مدرجة المشركين، ضارباً ثَبَجهم، آخذاً بأكظامهم، داعياً إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة، يكسر الأصنام، وينكث الهام، حتّى انهزم الجمع وولّوا الدبر، حتّى تفرّى الليل عن صبحه، وأسفر الحقّ عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين، وطاح وشيظ النفاق، وانحلّت عقد الكفر والشقاق، وفهتم بكلمة الإخلاص في نفر من البيض الخماص ﴿الَّذينَ أَذْهَبَ اللهّ عَنْهُمُ الرِّجس وَطَهَّرهُمْ تَطْهِيراً﴾ و﴿كُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَة مِنَ النّار﴾، مذقة الشارب ونهزة الطامع وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام، تشربون الطَّرَق، وتقتاتون القدّ أذلّة خاسئين [صاغرين]، ﴿تخافون أن يتخطّفكم الناس من حولكم﴾، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بأبي محمّدﷺبعد اللّتيّا والّتي، وبعد أن مني ببهم الرجال وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب، ﴿ كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله﴾، أو نجم قرن الشيطان أو فغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفئ حتّى يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيّداً في أولياء الله، مشمّراً ناصحاً، مجدّاً كادحاً، ﴿لا تأخذه في الله لومة لائم﴾، وأنتم في رفاهية من العيش وادعون، فاكهون آمنون، تتربّصون بنا الدوائر، وتتوكّفون الأخبار، وتنكصون عند النزال، وتفرّون من القتال.

فلمّا اختار الله لنبيّه دار أنبيائه، ومأوى أصفيائه، ظهر فيكم حسكة النّفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الأقلّين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللعزّة فيه ملاحظين، ثمّ استنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم فألفاكم غضاباً، فوسمتم غير إبلكم ووردتم غير مشربكم.

هذا والعهد قريب والكلم رحيب، والجرح لمّا يندمل، والرّسول لمّا يُقْبَرَ; ابتداراً زعمتم خوف الفتنة، ﴿ألا في الفتنة سقطوا وإنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين﴾، فهيهات منكم، وكيف بكم، ﴿وأنّى تؤفكون﴾ وكتاب الله بين أظهركم، أُموره ظاهرة وأحكامه زاهرة وأعلامه باهرة، وزواجره لايحة، وأوامره واضحة، [و] قد خلفتموه وراء ظهوركم، أَرَغْبَةً عنه تريدون؟ أم بغيره تحكمون؟ ﴿بئس للظالمين بدلاً، ومن يتّبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾، ثمّ لم تلبثوا إلّا ريث أن تسكن نفرتها ويسلس قيادها ثمّ أخذتم تورون وقدتها وتهيّجون جمرتها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغويّ، وإطفاء أنوار الدين الجليّ، وإهماد سنن النبيّ الصفيّ، تشربون حسواً في ارتغاء، وتمشون لأهله وولده في الخمرة والضراء، ونصبر منكم على مثل حزّ المدى، ووخز السنان في الحشا، وأنتم الآن تزعمون: أن لا إرث لنا، ﴿أفَحُكم الجاهليّة تبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾؟!! أفلا تعلمون؟ بلى، قد تجلّى لكم كالشّمس الضاحية: أنّي ابنته.

أيّها المسلمون! أأُغْلَبُ على إرثيه؟ يا ابن أبي قحافة، أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئاً فريّاً [على الله ورسوله]! أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمانَ داوُدَ﴾ وقال فيما اقتصّ من خبر يحيى بن زكريّا ﷺ إذ قال: (فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً * يَرِثُني وَيَرِثُ مِنْ آلِ

يَعْقُوبَ﴾، وقال [أيضاً]: ﴿وَأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْض فِي كِتابِ الله﴾، وقال: ﴿يُوصيكُمُ الله فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾، وقال: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوالِدَيْنِ وَالأَقْرَبينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلى الْمُتَّقينَ﴾، وزعمتم: أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي ولا رحم بيننا، أفخصَّكم الله بـ آية [من القرآن] أخرج أبي [محمّداً ـ ﷺ] منها ؟ أم هل تقولون: إنّ أهل الملّتين لا يتوارثان؟ أوَ لست أنا وأبي من أهل ملّة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمّي؟ فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحَكَم الله، والزعيم محمّد ـ ﷺ والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم [ما قلتم] إذ تندمون، ولكلّ نبأ مستقرّ، وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم.

ثمّ رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت [لهم]: يا معشر النقيبة وأعضاد الملّة وحضنة الإسلام، ما هذا الغميزة في حقّي والسِّنة عن ظلامتي؟ أما كان رسول الله ـ ﷺ أبي يقول: " المرء يحفظ في ولده" ؟ سرعان ما أحدثتم، وعَجلان ذا إهالةً ولكم طاقة بما أحاول، وقوّة على ما أطلب وأزاول، أتقولون مات محمّد ﷺ؟ فخطب جليل، استوسع وهنه واستنهر فتقه، وانفتق رتقه، واظلمت الأرض لغيبته، وكسفت الشمس والقمر، وانتثرت النجوم لمصيبته، وأكْدت الآمال، وخشعت الجبال، وأضيع الحريم، وأُزيلت الحرمة عند مماته، فتلك والله النازلة الكبرى، والمصيبة العظمى، لا مثلها نازلة، ولا بائقة عاجلة، أعلن بها كتاب الله جلّ ثناؤه، في أفنيتكم، في ممساكم، ومصبحكم، [يهتف في أفنيتكم] هتافاً، وصراخاً، وتلاوةً وألحاناً، ولقبله ما حلّ بأنبياء الله ورسله، حكم فصل وقضاء حتم: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَّ شَيْئاً وَسَيَجْزي اللهُ الشّاكِرينَ﴾، إيهاً بني قيلة، ءَأُهضَمُ تراث أبي؟ وأنتم

بمرأىً مِنّي ومسمع؟ ومنتدىً ومجمع؟ تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة، وأنتم ذوو العدد والعدّة، والأداة والقوة وعندكم السلاح والجُنّة، توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنخبة التي انتخبت، والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت.

قاتلتم العرب، وتحمّلتم الكد والتّعب، وناطحتم الأُمم، وكافحتم البهم، لا نبرح أو تبرحون، نأمركم فتأتمرون، حتّى إذا دارت بنا رحى الإسلام، ودرَّ حلب الأيّام، وخضعت ثغرة الشّرك، وسكتت فورة الإفك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة الهرج [والمرج]، واستوسق نظام الدين، فأنّى حرتم بعد البيان؟ وأسررتم بعد الإعلان؟ ونكصتم بعد الإقدام؟ وأشركتم بعد الإيمان؟ بؤساً لقوم نكثوا إيمانهم من بعد عهدهم، وهمّوا بإخراج الرسول، وهم بدأوكم أوّل مرّة، أتخشونهم فالله أحقّ أن تخشوه إن كنتم مؤمنين﴾.

ألا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض وأبعدتم من هو أحقّ بالبسط والقبض، وخلوتم بالدعة ونحوتم بالضيق من السعة، فمججتم ما وعيتم، ودسعتم الذي تسوغتم ﴿. . . فإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإنّ الله لغنيّ حميد﴾.

ألا وقد قلت ما قلت هذا على معرفة منّي بالخذلة التي خامرتك والغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنّها فيضة النفس، ونفثة الغيظ، وخور القناة، وبثّة الصدر، وتقدمة الحجّة، فدونكموها فاحتقبوها دبرة الظهر، نقبة الخف باقية العار، موسومة بغضب الله وشَنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة التي تطّلع على الأفئدة، فبعين الله ما تفعلون، ﴿. . . وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون. . . ﴾. وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد، ﴿. . . فاعملوا إنّا عاملون، وانتظروا إنّا منتظرون. . . ﴾.

٢.الدلالات العامّة للخطبة:

تبين من خلال القراءة الأولى للخطبة أنّها ذات دلالات عامّة أضف إلى ما تضمّنته الآيات القرآنيّة من دلالات إيحائية، ولعلّ من أهمّها:

١.البدء بحمد الله والثناء عليه، والتذكير بأصول الدين وفروعه، وقيم الدين الحنيف ومبادئه.

٢.عنوان الخطبة (الخطبة الفدكيّة) يحمل دلالات ايحائية تحوم حولها عدّة أمور، ولعلّ أهمها غصب الزهراء عليها السلام فدكاً، ومخالفتهم لوصية رسول الله صلى الله عليه وآله في رعاية ابنته.

٣.ذكر الزهراء عليها السلام حسبها ونسبها ليس لأجل التفاخر، بل لأجل التذكير واللوم.

٤.إنّ الأمة قد خالفت وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله بالحفاظ على الأمانة التي أودعهم إيّاها.

٥.إنّ الخطبة بيّنت مدى الأذى والشجن الموجود في كلام الزهراء عليها السلام.

٦.إنّ الخطبة تضمّنت تقريعاً صريحاً لكبار قريش ممّن غصبوا حقّ الزهراء عليها السلام ونقضوا الوعود والعهود مع رسول الله صلى الله عليه وآله بعد وفاته.

٧.التحريف الصريح للقرآن الكريم، بعدم الأخذ بأوامره ونواهيه، ولا سيما آيات المواريث.

٨.الاستهانة وعدم الأخذ بعموم القرآن وخصوصه، بل اعتمدوا ظاهر القرآن.

٩.هضم تراث رسول الله صلى الله عليه وآله، وكلّ مواريث الدين الحنيف.

١٠.الخطبة تضمّنت تذكيراً بمواقف العرب قديماً وحديثاً بأسلوب لا يخلو من اللوم والتقريع.

١١.الخطبة تضمّنت أسلوباً استفهامياً إنكارياً يبيّن دلالة عاطفية تجمع بين اللوم والتقريع.

١٢.لم يكن الهدف من الخطبة استجداء العطف من القوم، بل تأنيبهم على ما قاموا

به من نقض للعهود، وبيان عاقبة من يخرج عن الشريعة وينتهك حرمات الدين.
١٣.الخطبة تضمّنت أسماء وكنىً وألقاباً صريحة من دون الخوف منهم، أو مهابتهم.
١٤.أغلب الآيات القرآنية التي وظفتها الزهراءﷺ في الخطبة هي آيات ترهيب وتهويل لشدّة الموقف وإنكار القوم.

المبحث الأول: الدلالة الإيحائية المباشرة للآيات القرآنية في الخطبة الفدكية.

تضمّنت خطبة الزهراءﷺ آيات قرآنية استشهدت بها للدلالة على كلّ ما مرّ بها من مواقف، ولعلّ أهم هذه الدلالات هي الدلالات الإيحائيّة العميقة، ولعلّ افتتاح الآيات هو قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾. [١١]

الآية من سورة التوبة، والحقّ أنّ هذه السورة لها عدّة دلالات، فقد روي أنها سمّيت بالفاضحة، فقد روي عن ابن جبير قال: (قلت لابن عباس رضي الله تعالى عنهما: سورة التوبة قال: بل هي الفاضحة ما زالت تنزل، ومنهم ومنهم حتى ظنوا أنّ لا يبقى أحد منّا إلّا ذكر فيها). [١٢]

وقيل إنّ لها تسعة أسماء: أحدها: سورة التوبة، والثاني: براءة، وهذان مشهوران بين الناس، والثالث: سورة العذاب، قاله حذيفة، والرابع: المقشقشة، قاله ابن عمر، والخامس: سورة البحوث، لأنها بحثت عن سرائر المنافقين، قاله المقداد بن الأسود، والسادس: الفاضحة، لأنها فضحت المنافقين، قاله ابن عباس، والسابع: المبعثرة، لأنها بعثرت أخبار الناس، وكشفت عن سرائرهم، قاله الحارث بن يزيد، وابن إسحاق، والثامن: المثيرة، لأنها أثارت مخازي المنافقين ومثالبهم، قاله قتادة، والتاسع: الحافرة، لأنها حفرت عن قلوب المنافقين، قاله الزجاج[١٣].

ولعلّ عدم ذكر البسملة المتضمّنة للرحمة الإلهية دليل على سلب النعمة منهم جزاء أفعالهم، وابتدأت بالتقريع والبراءة من المشركين.

وقد سئل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: ((لِمَ لَمْ تُكتب في براءة (بسم الله الرحمن الرحيم)؟ قال: لأنها أمان، وبراءة نزلت بالسيف، فليس فيها أمان)). [١٤]

فالدلالة الإيحائية تكمن في توظيف الزهراء عليها السلام هذه الآية في هذا الموقف وهذه الخطبة، فهي أحقّ بالقرآن ومداليل الآيات، وتأويلها، إذ إنّ الموقف الذي كانت فيه لا يختلف عن ظروف نزول الآية وبيئتها، فكلاهما يتحدّث عن المنافقين والبراءة منهم.

وبعدها انتقلت في وصفها لأبيها صلى الله عليه وآله ولزوجها علي عليه السلام، إذ وصفته بأنّه (ضارباً ثَبَجهم، آخذاً بأكظامهم[١٥]، داعياً إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة، يكسر الأصنام، وينكث الهام، حتّى انهزم الجمع وولّوا الدبر).

ولعل هذا النص فيه دلالات إيحائية وتضمين قرآني لما جاء في سورة آل عمران في قوله تعالى: ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾. [١٦]

والثبج: أعلى الظهر من كل شيء. [١٧] وقيل هي(ما بين الكاهل إلى الظهر). [١٨] فالدلالة الإيحائية المنتزعة منها هي أن علياً عليه السلام هو أشجع الشجعان، ومفخرة للعرب، فهو الذي انتصر على أعتى العتاة وكسّر أصنام الشرك.

وهنا بدأت باللوم والتقريع لعدم نصرتهم لأهل بيت النبوّة (وفهتم بكلمة الإخلاص في نفر من البيض الخماص (الَّذينَ أَذْهَبَ اللهّ عَنْهُمُ الرِّجس وَطَهَّرهُمْ تَطْهِيراً).

وقيل إنّ البيض الخماص هم أهل البيت عليهم السلام. [١٩]

ثم بدأت بتذكيرهم بماضيهم غير المشرّف، إذ كانت الجاهليّة تحكمهم، والباطل متمكّنا منهم، فأنقذهم الله بأبيها فقالت: و﴿ **كُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَة مِنَ النّار**﴾[٢٠]،

مذقة الشارب ونهزة الطامع وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام، تشربون الطَّرَق، وتقتاتون القدّ أذلّة خاسئين[صاغرين]، تخافون أن يتخطّفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بأبي محمّد ﷺ

فذكّرتهم بمكانتهم سابقاً وهم يشربون الطَرَق: وهو ماء السماء الذي تبول فيه الإبل. (٢١)

فقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((كان أبو عبد الله عليه السلام إذا ذكر رسول الله ﷺ قال: بأبي وأمي وقومي وعشيرتي، عجب للعرب كيف لا تحملنا على رؤوسها، والله عز وجل يقول في كتابه: (وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها)؟ فبرسول الله ﷺ أنقذوا)). (٢٢)

إذاً فالدلالة الإيحائية للآية تكمن في قدرة الرسول ﷺ في إخراجهم من الجهل وسماجة العقل إلى العلم ونور البصيرة، وهم قد أنكروا ذلك الفضل.

ثمّ استشهدت بقوله تعالى: ﴿ **أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ** ﴾. (٢٣)

يقول الطباطبائي: (الآيات تعقب القول في المنافقين وبيان حالهم وفيها ذكر أشياء من أقوالهم وأفعالهم، والبحث عما يكشف عنه من خبائث أوصافهم الباطنة واعتقاداتهم المبنية على الضلال). (٢٤)

ثم ذكّرتهم بمردة أهل الكتاب الذين ﴿ **كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** ﴾. (٢٥)

الآيات تنهى عن اتخاذ المستهزئين بالله وآياته من أهل الكتاب والكفار أولياء وتعد أموراً من مساوئ صفاتهم ونقضهم مواثيق الله وعهوده وما يلحق بها بما يناسب غرض السورة (الحثّ على حفظ العهود والمواثيق وذم نقضها). وكأنها ذات سياق متصل واحد وإن كان من الجائز أن يكون لبعض أجزائها سبب مستقل من حيث النزول. (٢٦)

وفي كلّ موقف هناك تذكير لهم بأنهم لم يعانوا شيئاً من ضنك العيش حتى صاروا في مثل هذا الموقف يتربصون الدوائر بالنبي وأهل بيته (وأنتم في رفاهية من العيش وادعون، فاكهون آمنون، تتربّصون بنا الدوائر، وتتوكّفون الأخبار)

والحقّ أنّ الزهراء ﷺ في كلّ مفصل من مفاصل الخطبة تذكّهم بنعمة الإسلام وبنور الدين الذي لم يستضيئوا به، إلى أن ذكرت قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾. (٢٧)

فالدلالة الإيحائية تكمن في أنّ الخسران الكبير هو اتخاذ غير دين الإسلام.

المبحث الثاني: الدلالة الإيحائية غير المباشرة للآيات القرآنية في الخطبة الفدكية.

بداية يجب التفريق بين الإيحاء المباشر والإيحاء غير المباشر، فالأول يظهر للمتلقّي ظهوراً ابتدائياً من غير تعمّق في المعاني وتدقيق في العبارات، أمّا المكثف فهو ذو دلالات عميقة تحتاج إلى سبر في أغوار النص لإيجاد الدلالة المبتغاة.

فقد اختلفت الصيغة والوتيرة التي تكلّمت بها الزهراء ﷺ في عدّة مواقف وزادت من شدّة التقريع، وكثافة الدلالات، إذ إنّ تكثيف الدلالة يعتمد على شدّة الموقف وشدّة الإنكار من المنافقين.

ولعلّ من أبرزها قضيّة منعها من الإرث (وأنتم الآن تزعمون: أن لا إرث لنا، أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهَّ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ(٢٨)؟!! أفلا تعلمون؟ بلى، قد تجلّى لكم كالشّمس الضاحية: أنّي ابنته). والحق أنّ هذه دلالة صريحة ذات معنى مكثف.

يبدو من خلال قوّة الخطاب وظاهر الآية أنها ﷺ تحاسبهم على منعهم الإرث لها، لكن الحقّ أنها تحاسبهم على تحريفهم لكتاب الله، فهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، وتشبيهها لحكمهم بحكم الجاهلية تصريح خطير.

قال الإمام الصادق عليه السلام: ((الحكم حكمان حكم الله (عز وجل)، وحكم أهل الجاهلية، فمن أخطأ حُكمُ الله (عزّ وجلّ) حَكَم بحُكمِ أهل الجاهلية، ومن حَكَمَ بدرهمين بغير ما أنزل الله عز وجل فقد كفر بالله تعالى)). [٢٩]

وروي عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: ((الحُكم حُكمان، حُكم الله، وحُكم الجاهلية، وقد قال الله عز وجل ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**. ﴾[٣٠]، وأشهد على زيد بن ثابت لقد حَكَم في الفرائض بحكم الجاهلية)) وكأنه يشير الى التعصيب فان توريث الذكور دون الإناث من أحكام الجاهلية[٣١]

واستمرّت الدلالات المباشرة ذات المعنى المكثف، والتقريع المباشر حتى وصلت إلى القضيّة الكبرى وهي تركهم لكتاب الله (أ فعلى عمدٍ تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم)؟

فالدلالة الإيحائية المنتزعة من هذا المقطع هي ارتدادهم عن دين الله، والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. [٣٢]

يتبين لنا من خلال ما تقدّم أن الزهراء عليها السلام قد وظّفت كلّ آيات الإرث واستدلّت بها على فهمهم لكتاب الله تعالى، وعدم الأخذ بها، وارتدادهم عن دين الله ونكرانهم لحقوقها.

فقالت بعدها: (فدونكها مخطومة مرحولة[٣٣] تلقاك يوم حشرك، فنعم الحَكَم الله، والزعيم محمّد صلى الله عليه وآله والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم [ما قلتم] إذ تندمون، ولكلّ نبأ مستقرّ، وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم).

وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ **لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾[٣٤]، وقوله تعالى: ﴿ . . **فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ**﴾[٣٥] ولو دققنا في دلالة الآيتين وجدناهما يحملان وعيداً لما سيحلّ بالمنافقين من عذاب.

ولعلّ هذا المقطع تضمّن دلالات مكثّفة ومتداخلة، منها تزهيدها عن الدنيا الفانية، والتذكير بيوم القيامة وأخذ كلّ ذي حقّ حقّه، وتذكّرهم بندمهم على ما فعلوا، وتبيّن لهم عاقبتهم وهي النار والعذاب المقيم.

أضف إلى ذلك فكان هناك توجيه خطاب مباشر يحمل دلالة مكثّفة استمرّ إلى نهاية الخطبة، وكأنّ الموقف لا يحتمل التخفيف والإمهال، فوجّهت الكلام إلى الأنصار: (يا معشر النقيبة وأعضاد الملّة وحضنة الإسلام، ما هذا الغميزة في حقّي والسِّنة عن ظلامتي؟ أما كان رسول الله ﷺ أبي يقول: " المرء يحفظ في ولده" ؟

ها هنا استفهام إنكاري، وتقريع واضح وتوبيخ لمن يزعم بحضنة الإسلام، ونعتها إيّاهم بالغميزة وهي: (بفتح الغين المعجمة والزاي – ضعفة في العمل)[٣٦] خير دليلٍ على ذلك.

والحق أنّ هذا مصداق لقوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللهِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾. [٣٧]لأنّ السكوت عن مظلومية الزهراء عليها السلام كالذي كتم شهادة عند الله تعالى.

يقول الأردبيلي في تفسير الآية: (أي ما يوجد أظلم من كاتم شهادة حاصلة عنده من الله، أو يكتمها من الله بحيث لا يقولها عند الطلب، فكأنه يريد يخفيها من الله، إذ لو كان يعلم أن الله يعلم فلا فائدة له في الكتمان). [٣٨]

بعدها تبيّن عليها السلام فداحة الخطب في فقدها لأبيها الذي تركت سنّته، وانتهكت شريعته، ولم تحفَظ وديعته (فخطب جليل، استوسع وهنه واستنهر فتقه، وانفتق

رتقه، واظلمت الأرض لغيبته، وكسفت الشمس والقمر، وانتثرت النجوم لمصيبته، وأكْدت الآمال، وخشعت الجبال، وأضيع الحريم، وأُزيلت الحرمة عند مماته، فتلك والله النازلة الكبرى، والمصيبة العظمى، لا مثلها نازلة، ولا بائقة عاجلة. . .)

الدلالة الإيحائية ظاهرة في بيان عِظم المصيبة بعد وفاة رسول الله ﷺ فقد شبّهت هَول هذا اليوم بأهوال القيامة (وكسفت الشمس والقمر، وانتثرت النجوم. . .)، فتلك النازلة الكبرى لأن في مثل هذا اليوم لا تنفع الظالمين معذرتهم.

واستشهدت بعدها بقوله تعالى: ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزي اللهُ الشّاكِرِينَ** ﴾. (٣٩)

روي أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام أكبت تنظر في وجه أبيها وتندبه وتبكي وتقول: (وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل)، ففتح رسول الله ﷺ عينيه وقال بصوت ضئيل: (يا بنيّة هذا قول عمك أبي طالب لا تقوليه، ولكن قولي: ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزي اللهُ الشّاكِرِينَ** ﴾. (٤٠) فبكت طويلا. (٤١)

ولا يخفى ما تحمله هذه الآية من دلالات إيحائيّة في كيفيّة موت الرسول ﷺ بين الموت أو القتل، وكذا معنى انقلاب الأمّة على أعقابها وارتدادها عن دينها، وهي أصعب الأمور.

يقول الشيخ الصدوق: (وليس ارتدادهم في ذلك بأعجب من ارتداد بني إسرائيل حين أراد موسى عليه السلام أن يذهب إلى ميقات ربه، فاستخلف أخاه هارون، ووعد قومه بأن يعود بعد ثلاثين ليلة فأتمها الله بعشر فلم يصبر قومه إلى أن خرج

فيهم السامري وصنع لهم عجلا، وقال: (هذا إلهكم وإله موسى) واستضعفوا هارون خليفته وأطاعوا السامري في عبادة العجل، فرجع موسى إليهم وقال: (بئسما خلفتموني). (٤٢)

ثم قالت بعد حديث طويل قوله تعالى: ﴿**إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾. (٤٣)

والدلالة الإيحائية واضحة في الآية على قول الشيخ الطوسي: (فان الله لغني حميد" اي غني عن شكركم حميد في أفعاله، والغني هو الحي الذي ليس بمحتاج، والحميد الكبير لاستحقاق الحمد بعظم إنعامه، وهي صفة مبالغة في الحمد، وقد يكون كفر النعمة بأن يشبه الله بخلقه أو يجور في حكمه، أو يرد على نبي من أنبيائه، أو كان بمنزلة واحد منها في عظم الفاحشة، لان الله تعالى منعم بجميع ذلك من حيث أقام الأدلة الواضحة على صحة جميع ذلك وغرضه بالنظر في جميعها الثواب الجزيل، فلذلك كان منعما بها إن شاء). (٤٤)

وكان آخر ما قالته الزهراء عليها السلام في خطبتها آيات تحمل معنى اللّوم والتهديد والترهيب والاستنكار وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (٤٥). وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد. قال الشهيد الثاني في اللمعة: (إنه تهديد لاذع جدا). (٤٦)

والحقّ أنّ هذه الخطاب القوي والأسلوب الرائع ليس غريباً على بنت رسول الله صلى الله عليه وآله الذي لم ينطق عن الهوى، وإن كلامه إلّا وحيٌ يوحى، وهي سليلة هذا الأب وجليلة هذا الحسب والنسب.

إلى أن ختمت خطبتها بقوله تعالى: ﴿. . **وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ**﴾. (٤٧)

لا يختلف موقف الزهراء عليها السلام هذا عن موقف أبيها صلى الله عليه وآله عند نزول هذه الآية، لإنهاء الحجاج، فالموقف واحد والردّ واحد.

قال الطباطبائي في تفسير هذه الآية: (وهذا فيما يرجع إلى غير المؤمنين يأمر نبيه ﷺ ان يختم الحجاج معهم ويقطع خصامهم بعد ما تلا القصص عليهم بهذه الجمل فيقول لهم: أما إذا لم تؤمنوا ولم تنقطعوا عن الشرك والفساد بما القيت إليكم من التذكرة والعبر ولم تصدقوا بما قصه الله من أنباء الأمم وأخبر به من سنته الجارية فيهم فاعملوا على ما أنتم عليه من المكانة والمنزلة، وبما تحسبونه خيرا لكم انا عاملون، وانتظروا ما سيستقبلكم من عاقبة عملكم انا منتظرون فسوف تعرفون صدق النبأ الإلهي وكذبه[٤٨].

إذاً فالدلالة الإيحائيّة المستقاة من الآية الأخيرة هي أن موقفهم واحد، فكما وقفوا موقف الضدّ من أبيها فهم يكرّرون هذا الموقف معها، وبنفس الكفر والعناد، فكانت الإجابة أنّ الذين ظلموا عاقبتهم أشدّ من عنادهم وأنّ ظلمهم لن يدوم.

الخاتمة ونتائج البحث:

الحمد لله والحمد حقّه كما يستحقّه حمداً كثيراً، وصلّى الله على خير البرية ووالد الصديقة الزكيّة وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد. .

فالباحث في نصوص أهل البيت عليهم السلام وخطبهم يجد فيه إيحاءات ودلالات لكلّ ما يختلج صدورهم من آهات تجاه من وقف موقف الضدّ منهم، ولا سيما السيّدة الزهراء عليها السلام في خطبتها الفدكيّة، التي تضمّنت كلّ مواقف القوم تجاهها، وكلّ ما تحمّلت منهم من أنّات وآهات، فكانت بلاغتها واسلوبها الإيحائي يحمل دلالات مكثّفة بيّنت مقاصدها، فكانت هناك نتائج للبحث لعلّ أهمّها:

١.إنّ الدلالة الإيحائية تكمن في توظيف الزهراء عليها السلام بعض الآيات في عدّة مواقف، فهي أحقّ بالقرآن ومداليل الآيات، وتأويلها، إذ إنّ الموقف الذي كانت فيه لا يختلف عن ظروف نزول الآية وبيئتها، فكلاهما يتحدّث عن المنافقين والبراءة منهم.

٢.إنّ أعظم الدلالات المباشرة تكمن في أنّ الخسران الكبير هو اتخاذ غير دين الإسلام.

٣.إنّ غضب الزهراء عليها السلام لم يكن لغصبها الإرث المادّي (أرض فدك)، بل غصبهم لخلافة أمير المؤمنين عليه السلام لمنصب الخلافة، ولكن بدلالة إيحائية.

٤.ركّزت الزهراء عليها السلام في خطبتها على انحراف الأمّة عن مبادئ الدين التي أرساها أبوها رسول الله صلى الله عليه وآله.

٥.أكّدت الزهراء عليها السلام آيات الإرث في القرآن لدلالتها على غصبهم حقّها، وعدم تطبيقهم لأحكام كتاب الله تعالى.

٦.استدلال الزهراء عليها السلام بأصول الدين وفروعه يحمل دلالة إيحائيّة واضحة، وهي عدم انتماء اعدائها إلى دين الإسلام الذي يتضمّن هذه الأصول وهذه الفروع.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

هوامش البحث

١) الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس: ٢٨ / ٤٩٨

٢) ابن فارس: مقاييس اللغة: ٢/ ٢٥٩

٣) الطلحي: ردة الله بن ردة بن ضيف الله: دلالة السياق: ٢٧

٤) الأصبهاني: شمس الدين محمود: ١/ ١٢٠

٥) الزركشي: بدر الدين: البحر المحيط في أصول الفقه: ٢/ ٦٨

٦) الزحيلي: ابن النجار: شرح الكوكب المنير (المسمى بمختصر التحرير أو المختبر المبتكر شرح المختصر): ١/ ١٢٥، ظ: الجرجاني: التعريفات: ٩٣.

٧) طه: ١٢٠

٨) ظ: ابن منظور: لسان العرب: ١٥/ ٣٨١

٩)أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب: ٤٢٤.

١٠) الاحتجاج: ١ / ٢٥٣ ح ٤٩، الشافي: ٤ / . ٧ باختصار، من لا يحضره الفقيه: ٣ / ٥٦٧ ح ٤٩٤٠، علل الشرائع: ب ١٢٨ / ٢٤٨ ح ٢، دلائل الإمامة: ١٠٩ ح ٣٦ بتفاوت يسير، كشف الغمّة: ١ / ٤٨٠ باختصار، ونحوه بحار الأنوار: ٢٩ / ٢١٧ ح ٢ عن كشف الغمّة، و ٢٢٠ ح ٨ عن الاحتجاج، و ٩٢ / ١٣ ح ٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٦ / ٢١١ باختصار الطبرسي: الاحتجاج: ١/ ١٣٥، ظ: المجلسي: بحار الأنوار: ٢٩/ ٢٢٤، الطبري: دلائل الإمامة: ١١٤، محسن الأمين: أعيان الشيعة: ١/ ٣١٦. وغيرهم

١١) التوبة: ١٢٨

١٢) الالوسي: تفسير الالوسي: ١٠/ ٤٠

١٣) ظ: الزجاج: معاني القرآن وإعرابه: ٢/ ٤٣٧

١٤) الحاكم النيسابوري: المستدرك: ٢: ٣٣٠

١٥) أي أنفاسهم و والكَظَمُ، مُحَرَّكَةً: الحَلْقُ أو الفَمُ أو مَخْرَجُ النَّفَسِ. يُقالُ: أَخذَ بِكَظَمِهِ أي بحَلْقِه: الزبيدي: تاج العروس: ١٧/ ٢٦٠.

١٦) آل عمران: ١٢٥

١٧) الفراهيدي: الخليل بن أحمد: ٦/ ٩٩

١٨) الجوهري: حماد: ١/ ٣٠١

١٩) القمي: عباس: بيت الأحزان: ١٤٣

٢٠) آل عمران: ١٠٣

٢١) المصدر نفسه: ١٤٣

٢٢) الحويزي: تفسير نور الثقلين: ١/ ٣٧٨
٢٣) التوبة: ٣٣
٢٤)الطباطبائي: محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن: ٩/ ٣٠٥
٢٥) المائدة: ٥٤
٢٦) ظ: الطباطبائي: الميزان: ٦/ ٢٧
٢٧) ال عمران: ١٨
٢٨) المائدة: ٤٣
٢٩) الصدوق: من لا يحضره الفقيه: ٣/ ٤
٣٠) المائدة: ٥٠
٣١) الأمين: أعيان الشيعة: ٣٢/ ٩٣
٣٢) البقرة: ٢١٧
٣٣) مخطومة: من الخطام بالكسر وهو: كل ما يدخل في أنف البعير ليقاد به، والرحل بالفتح: هو للناقة كالسرج للفرس: ظ: الجوهري: الصحاح: ٥/ ١٩١٥، مادة خطم.
٣٤) الأنعام: ٦٧
٣٥) هود: ٣٩
٣٦) الطبرسي: الاحتجاج: ١/ ١٣٩
٣٧) البقرة: ١٤٠
٣٨) الأردبيلي: زبدة البيان في أحكام القرآن: ٦٩٣
٣٩) آل عمران: ١٤٤
٤٠) آل عمران: ١٤٤
٤١) الطبرسي: إعلام الورى بأعلام الهدى: ١/ ٢٦٣
٤٢) الصدوق: الهداية: ١٤٣
٤٣) ابراهيم: ٨
٤٤) الطوسي: التبيان في تفسير القرآن: ٦/ ٢٧٧
٤٥) الشعراء: ٢٢٧
٤٦) الشهيد الثاني: الروضة البهية فيشرح اللمعة الدمشقية: ٧/ ١٢
٤٧) هود: ١٢١-١٢٢
٤٨) الطباطبائي: محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن: ١١/ ٧١

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

*أبي الحديد، ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩م. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية. ط١.

*الأصبهاني، شمس الدين محمود. ١٤٠٩هـ -٢٠٠٤م. بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب. تحقيق علي جمعة. القاهرة. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع. ط١.

*الاصفهاني، الراغب (ت ٤٢٥هـ). ١٩٩٦م. مفردات الفاظ غريب القران. تحقيق صفوان عدنان داوودي. بيروت. ط ١.

*الأمين، محسن. أعيان الشيعة: حققه وأخرجه. حسن الأمين. بيروت. دار التعارف للمطبوعات.

*تراثنا نشرة فصلية تصدرها مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث. العدد (١) - السنة الأولى - لسنة ١٤٠٥ هـ.

*تراثنا نشرة فصلية تصدرها مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث. العدد الأول - السنة الأولى - صيف سنة ١٤٠٥ هـ.

*الجرجاني، ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨م. التعريفات. طبعه الحلبي. مصر.

*ابن الجوزي، ابو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي (ت ٥٩٧ هـ). ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م. زاد المسير في علم التفسير. دار الفكر. ط١ .

*الحويزي، عبد علي بن جمعة العروسي. تفسير نور الثقلين: صححه وعلق عليه أشرف على طبعه الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي. قم. مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع.

*١٠.)الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس. طبعة دار الهداية.

*١١.)الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م. البرهان في علوم القرآن: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار أحياء الكتب العربية. ط١.

*١٢.)الزركشي، بدر الدين. ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٥م. البحر المحيط في أصول الفقه. تحقيق لجنة من علماء الأزهر. دار الكتبي. ط٣.

*١٣.)الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ). من لا يحضره الفقيه: صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري. قم المقدسة. منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية. ط١.

*١٤.)الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت٣٨١ هـ). ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م. علل الشرايع الجزء الأول. النجف. منشورات المكتبة الحيدرية. .

*١٥.)الصدوق، أبو جعفر محمد علي بن الحسين بن بابويه القمي. (ت سنة ٣٨١هـ). (د. ت). الخصال: صححه وعلق عليه السيد هاشم الحسيني الطهراني. قم المقدسة. منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية.

*١٦.)الصدوق، أبو جعفر محمد علي بن

الحسين بن بابويه القمي (ت سنة ٣٨١ هـ). ١٤١٧ هـ. ألأمالي: تحقيق قسم الدراسات الاسلامية – مؤسسة البعثة. قم. بيروت. مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة. ط١.
*الطباطبائي، محمد حسين. الميزان في تفسير القران. قم المقدسة. منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية.
*الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن. ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م. مجمع البيان في تفسير القران. بيروت. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. ط١.
*الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب. ١٩٩٦م. الإحتجاج: تعليقات وملاحظات السيد محمد باقر الخرسان. النجف الأشرف. طبع في مطابع النعمان.
*الطلحي، ردة الله بن ردة بن ضيف الله. (١٤٢٣هـ). دلالة السياق. مكة المكرمة. جامعة أم القرى.
*الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠ هـ). الأمالي: تحقيق قسم الدراسات الاسلامية – مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع دار الثقافة.
*الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن. ١٢٠٩ هـ. التبيان في تفسير القرآن: تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العاملي. مكتب الاعلام الاسلامي. ط١.
*الفراهيدي، الخليل أبو عبد الرحمن بن أحمد (١٧٥ هـ) . ١٤٠٩هـ. كتاب العين: تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي. إيران. مؤسسة دار الهجرة. ط١.
*ابن فارس، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م. مقاييس اللغة: تحقيق عبد السلام هارون. دار الفكر.
*الفيروزابادي، ١٩٩٨م. القاموس المحيط. بيروت. مؤسسة الرسالة. ط٦.
*القمي، أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي. تفسير القمي: صححه وعلق عليه وقدم له حجة الاسلام العلامة السيد طيب الموسوي الجزائري. قم. مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر.
*الكاشاني، (ت ١٠٩١هـ). تفسير الصافي: صححه وقدم له وعلق عليه العلامة الشيخ حسين الأعلمي. طهران. منشورات مكتبة الصدر.
*الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت ٣٢٨ / ٣٢٩ هـ). الأصول من الكافي: صححه علي أكبر الغفاري: نهض بمشروعه الشيخ محمد الآخوندي. الناشر دار الكتب الاسلامية.
*المجلسي، محمد باقر. ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار. بيروت. مؤسسة الوفاء. ط٢.
*ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. ١٤٠٥ هـ١٣٦٣ ق. لسان العرب. قم. نشر أدب الحوزة.
*ابن النجار، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م. شرح الكوكب المنير (المسمى بمختصر التحرير أو المختبر المبتكر شرح المختصر): تحقيق محمد الزحيلي ونزيه حماد. الرياض. مكتبة العبيكان. ط٢.